

وظائف الخانات في مدينة حلب

نوارى محمود العلى (*)

الخان: كلمة تركية مغولية تعنى البيت الكبير ويضم أسرة كبيرة أو عشيرة^(١).

وتعنى بالعربية نزل للمسافرين ومحطة للقوافل ومستودع لبضائعهم^(٢). وبشكل عام هناك نوعان من الخانات :

- ١ - خانات الطرق: تقع إلى جانب الطرق لإيواء المسافرين وبشكل خاص الذاهبين لأداء فريضة الحج ، ويتألف البناء فيها عادة من طابق واحد .
- ٢ - خانات المدن: وهى خانات تقام فى المدن الهامة وتكون على طابقين ، الطابق العلوى مخصص لإقامة التجار والمسافرين والسفلى لعرض البضائع وقد يستعمل جزء منه كإسطبل لمبيت الحيوانات^(٣).

* باحث فى قسم الجغرافية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

عوامل نشوء الخانات في حلب:

إن الموقع الاستراتيجي لمدينة حلب القديمة كنواة انطلاق ومركز عبور بين الرافدين والمتوسط والأناضول وبلاد الشام فالجزيرة العربية أو مصر، تتطلب من الضروري بناء الخانات عبر الأزمنة لاستيعاب القوافل التجارية وتقديم التسهيلات اللازمة للتجار.^(٤)

ونتيجة للحركة التجارية النشطة لحلب ظهر الخان ليكون أعظم أسلوب لتلبية حاجات الزائرين والتجار القادمين إلى المدينة، فقد كان النزول لإقامة الناس وقد احتوى على الحوانيت والمحلات التجارية كما يوجد فيه إسطبلًا لاحتواء دواب النزلاء.^(٥)

ويمكن تقسيم الخانات حسب فترة البناء إلى قسمين:

١ - خانات الفترة المملوكية: وتضم خان (الصابون - القصابية - خاير بك - البرغل).

٢ - خانات الفترة العثمانية: وتضم خانات (البنادقة - الجمرك - النحاسين - البرغل - الحبال - الحرير - العلية - الوزير - العبسي).

وقد امتازت واجهات الخانات في الفترة المملوكية بزخارفها ونقوشها الجميلة، مع الكتابات الدالة على تاريخ البناء، أما خانات الفترة العثمانية فقد تميزت عن الخانات المملوكية غالباً بوجود قاعة هامة فوق مدخل الخان الرئيسي مباشرة وكانت تخصص لإقامة القنصل، أو الشخصيات الهامة وكانت تزين من الداخل والخارج بالنقوش والإطارات والأعمدة الصغيرة في

نوافذها وفتحاتها المطلة على ساحة الخان من الداخل ، وكانت هناك غرفة خاصة قريبة من مدخل الخان للآغا أو المشرف الذي يعينه صاحب الخان لتحصيل الرسوم على البضائع التي تدخل الخان مع تنظيم الأمور فيه ويعمل تحت إمرته (أوضه باشي) أي حارس ينوب عنه ويقيم في الخان بشكل دائم . وكانت الخانات توضع من قبل السلطة تحت تصرف التجار تسهيلا لإقامتهم والقيام بتجارتههم دون حق ملكية هذه الخانات وكان الجمرك هو الهيئة التي تدفع الإيجار وتحمل نفقات الإصلاح والترميم ، وكانت تحرص على راحة التجار ، ويتألف دخلها من الضرائب التي يدفعها التجار على دخول وخروج بضائعهم وكانت دولة البندقية تدفع ضريبة وقدرها (٧٪) على بضائعها ، بينما كانت فرنسا وانكلترا وهولندا تدفع ضريبة قدرها (٣٪) من القيمة ، وذلك بموجب اتفاقية الامتيازات الموقعة بين هذه الدول والدولة العثمانية^(٦) .

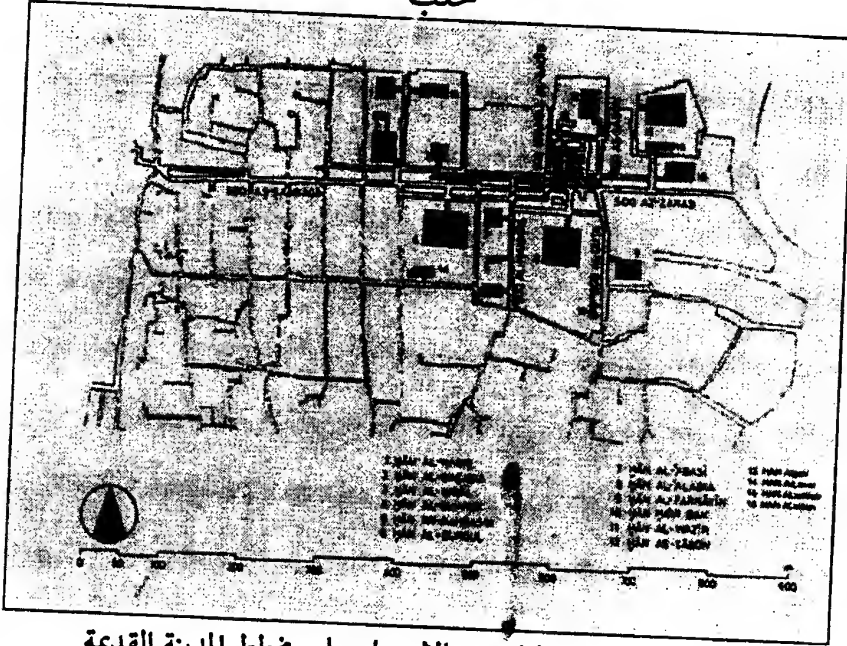
الموضع الجغرافي للخانات حسب الأسواق :

سوف نتحدث عن الخانات الموجودة في منطقة الأسواق التجارية (أسواق المدينة) فقط.

لو نظرنا إلى توزيع هذه الخانات نرى أنها قد توضع على أطراف منطقة الأسواق لتستقبل البضائع والتجار القادمين إلى المدينة دون الدخول إلى الشوارع الضيقة في المركز ، الشكل رقم (١) ، وهذه الخانات هي:

الشكل رقم (١) يبين موقع الخانات ضمن الأسواق القديمة في مدينة

حلب



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على غطط المدينة القديمة

١- خان الحرير: وهو يقع في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الأسواق (المدينة)، ويقع بين الجامع الكبير والسبع بجلات. غربي سوق الحرير، وهو أعمار المناطق التجارية في حلب، كان الهنود ينزلون فيه بالحرير، ويعود بناؤه إلى القرن السادس عشر الميلادي ويقع مدخل الخان في سوق خان الحرير. (٧)

وتبلغ المساحة الكلية للخان (٢٠٠٠ م^٢) ، أما الباحة الداخلية فهي (٦٠٠ م^٢) .

٢- خان الجاكي الجديد: يقع في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الأسواق ، بين سوق خان الحرير وسوق الحدادين ، ويقع مدخل الخان في سوق خان الحرير أمام مدخل خان الحرير .

٣- خان البنادقة: يقع غربي الجامع الكبير ، بين خان الجاكي شمالا والمدرسة الحلوية شرقا وخان الحبال جنوبا وسوق خان الحرير غربا ، وهو مقر تجار البندقية الايطاليين ، ومقر قنصلية البندقية في حلب قبل أن تتوحد الممالك الايطالية .^(٨) وهو من أهم خانات الفترة العثمانية .

٤- خان القصابية: يقع أمام سوق القصابية ، غربي الجامع الكبير ويحاذي سوق خان الحرير من الجهة الغربية . بناه الأمير ابرك الاشرفي زمن السلطان قانصوه الغوري

سنة (٩١٦ هجري - ١٥١٠ م) أي في أواخر العهد المملوكي مساحته الكلية (٣٣٠٠ م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (١٠٠٠ م^٢) .

٥- خان الحبال (الفرنسيين): يقع في سوق الحبال ، غربي الجامع الكبير وسوق الحدادين وجنوبي المدرسة الحلوية وخان البنادقة بناه نيشانجي محمد باشا (١٥٩٤ م) ، وله اسم آخر هو خان الفرنسيين وذلك لان كبار التجار الفرنسيين كانوا يقصدونه ، وفي الطابق الأرضي الأول كانت فيه قنصليتهم القديمة ، تبلغ مساحة الخان (١٧٠٠ م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (٤٠٠ م^٢) .

٦- خان الجمرك: يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للأسواق جنوب المحور الرئيسي، في سوق الجمرك بناه إبراهيم خان زاده محمد باشا (١٥٧٤م^٢) في بداية الفترة العثمانية، وهو يضم (٥٢) مخزنا و(٧٧) غرفة للسكن، ويعد من اكبر وأعظم خانات حلب إذ تبلغ مساحته (٦٢٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (٢٤٠٠م^٢).

وقد سمي بهذا الاسم لان السلطة كانت تستوفى فيه الرسوم الجمركية، وقد كان مقرا للجالية الفرنسية قبل أن تنتقل إلى خان الحبال.^(٩)

٧- خان النحاسين: ويقع الخان في سوق النحاسين (المحمص)، يعود تاريخ بناؤه إلى عام (١٥٥٦م-٩٥٦هجري)، مدخله يواجه مدخل حمام النحاسين وكان الخان مقرا لقنصلية فينيسيا ثم القنصلية البلجيكية.^(١٠) تبلغ مساحته (١٥٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (٥٠٠م^٢).

٨- خان البرغل: يقع هو الآخر في سوق النحاسين (المحمص) إلى الجنوب من خان النحاسين ويرتبط معه بممر يؤدي إلى بيت القنصل وتعود ملكيته إلى وقف مملوكي.^(١١)

يعود تاريخ بناؤه إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي (٨٧٧هجري-١٤٧٣م)، وتبلغ مساحته (١١٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (١٣٠م^٢).

٩- خان العبسي: يقع إلى الجنوب من خان البرغل وهو ثالث خان يقع على الضفة الغربية لسوق النحاسين وله مدخلان: الأول شرقي باتجاه سوق

النحاسين والثاني غربي باتجاه سوق اليرق. يعود بناؤه إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، وتبلغ مساحته (٢٠٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (٣٥٠م^٢).

١٠- خان الدير: يقع في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من منطقة الأسواق ، وجنوبي خان الجمرك ، وكان في الأصل ديرا، ثم تحول إلى خان.

١١- خان الفرايين: يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من أسواق المدينة ، على الضفة الشرقية لخان الفرايين وقد جاء اختيار هذا الموقع تلبية لوظيفة الخان وهي تصنيع الفراء ، لان جلود الحيوانات التي يصنع منها الفراء كانت تأتي من المناطق الشرقية والجنوبية المحيطة بمدينة حلب ، ويتألف الخان من جزأين الأول مدخله على سوق الفرايين والثاني مدخله من الشرق خلف المشفى الوطني.

١٢- خان العلبة: يقع في الجهة الجنوبية للأسواق ، شيد عام (١٥٥٦م) ، مدخله من الجهة الشمالية يقع عند التقاء ثلاث أسواق هي (الحمام-الجوخ-ماركوبلي) ، الجناح الشمالي للخان كانت تشغله القنصلية الايطالية ، تبلغ مساحة الخان (٥٦٠٠م^٢) ، أما مساحة الباحة الداخلية فهي (٢٠٠٠م^٢) ، وهو ثاني اكبر خان بعد خان الجمرك.

١٣- خان العدلية: يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للأسواق، شرقي جامع العدلية ، وهو ملاصق للجزء الجنوبي الشرقي من خان العلبة. يقع مدخله في نهاية سوق الفرايين.

١٤- خان خايربك: يقع في الجهة الشرقية للأسواق شمال المحور الرئيسي ، يتوضع إلى غربه سوق قره قماش وإلى جنوبه سوق الزرب ، يرجع بناؤه إلى الأمير خايربك آخر أمراء المماليك بحلب سنة (١٥١٤م).^(١٢) يقع مدخل الخان على الضفة الشرقية لسوق قره قماش عند نهاية سوق الدهشة.

١٥- خان الوزير: وهو من أهم خانات حلب العثمانية، بناه عام (١٦٨٢م) والي حلب قره مصطفى الذي أصبح فيما بعد وزيراً في الأستانة لذا سمي بخان الوزير.^(١٣)

يقع الخان في الجهة الشمالية الشرقية للأسواق ، وهو خان واسع إذ تبلغ مساحته (٨٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (١٨٠٠م^٢).

١٦- خان الكتان: يقع إلى الجنوب من خان الوزير ويقع مدخله أمام سوق قره قماش ، وكان مقرًا للقنصلية البلجيكية.

١٧- خان الصابون: بناه الأمير ازدمر بن مزيد ، في بداية القرن السادس عشر وكانت فيه مدرسة لأيتام اليهود ثم أصبحت فيه المدرسة الفاروقية.^(١٤)

ويقع الخان شمالي الأسواق شرقي الجامع الكبير ، ويقع مدخله في بداية سوق الصابون من جهته الشمالية ، وتبلغ مساحة الخان (٢٣٠٠م^٢) ومساحة الباحة الداخلية (٧٠٠م^٢).

جدول رقم (١) يبين أهم الخانات القديمة في حلب

الخانة	تاريخ البناء	المساحة الكلية (م ^٢)	مساحة الباحة الداخلية (م ^٢)
الحريز	القرن ١٦ الميلادي	٢٠٠٠	٦٠٠
القضاية	١٥١٠ م	٣٣٠٠	١٠٠٠
الحبال	١٥٩٤ م	١٧٠٠	٤٠٠
الجمرك	١٥٧٤ م	٦٢٠٠	٢٤٠٠
النحاسين	١٥٤٨ م	١٥٠٠	٥٠٠
البرغل	القرن ١٥-١٦ الميلادي	١١٠٠	١٣٠
العنبي	القرن ١٦-١٧ الميلادي	٢٠٠٠	٣٥٠
العلبية	١٥٥٦ م	٥٦٠٠	٢٠٠٠
الوزير	١٦٨٢ م	٤٨٠٠	١٨٠٠
الصابون	القرن ١٦ الميلادي	٢٣٠٠	٧٠٠

وظيفة الخانات :

للخان مهام كثيرة وتنوع وظائف الخانات حسب أنواعها، إذ تتخذ خانات الطرق ووظائف عسكرية، إذ تتركز الجيوش في الخانات قبل انطلاقها وكذلك للخانات وظائف بريدية فهي بمثابة محطة لاستراحة عاملي البريد (خان العسل - خان طومان) على أطراف مدينة حلب.

أما وظائف خانات المدن فهي :

١- الوظيفة الفندقية: وهي الوظيفة الأساسية التي أقيمت من أجلها الخانات، إذ كانت الخانات مجهزة بمصاطب لينام عليها المسافرون كخان خاير بك بجلب.

٢- الوظيفة التجارية: وترافق الوظيفة الفندقية في أهميتها فقد كانت الخانات مكانا لنزول القوافل التجارية ومركز لأعمال التجارة وتبادل البضائع وقد زودت العديد من الخانات بمخازن تجارية كخان الجمرك وخان الوزير وخان الصابون.

٣- الوظيفة الحرفية: إحدى الوظائف الهامة جدا للخانات حيث يتم التصنيع والبيع ضمن الخان (خان العلبة- خان الصابون).

٤- الوظيفة الدينية: حيث احتوت الخانات على جوامع (خان الصابون- خان الوزير) أو كنائس (خان البنادقة -الحبال).^(١٥)

٥- مركز للقناصل والقنصليات الأجنبية: بدأ القناصل الأوربيون يقسمون في حلب إثر اتفاقية الامتيازات عام (١٥٣٥م) وأقامت دولة البندقية قنصليتها بجلب في خان النحاسين منذ عام (١٥٤٨م)، وجاء أول قنصل فرنسي إلى حلب عام (١٥٦٢م) وجاء القنصل الانكليزي عام (١٥٨٣م) والقنصل الهولندي عام (١٦٠٧م) وقد أقاموا جميعهم أول الأمر في خان الجمرك ، وفي القرن السابع عشر انتقل قنصل انكلترا ليقيم في خان البرغل كما انتقل قنصل فرنسا إلى خان الحبال وهكذا نجد أن الخانات كرسست لإقامة القناصل.^(١٦)

٦- سكن للجاليات الأجنبية: (لقد كان الأجانب يسكنون في الخانات بأمر من الباب العالي وذلك حماية لأرواحهم ، واتخذت العائلات الكبيرة من التجار سكنها المتطور في المنزل القنصلي (الخانات) ولعبت دورا هاما في إكماله وتجديده ، ففي أواخر القرن التاسع عشر كان نصف الطابق الأول من خان العلية سكن من قبل عائلة ماركوبلي (أصل العائلة من جزيرة خيو في اليونان) ، وان نصف خان النحاسين ونصف خان البرغل كانا لعائلة بوخة (أصلهم من بوهيميا) ، أما النصف الثاني من خان النحاسين فكان لعائلة كباية (أصلهم من إيطاليا).^(١٧)

الهوامش :

*- يطلق على الخان اسم الوكالة في القاهرة، والفندق أو الوكالة في المغرب.

- (١) محمود حريثاني: حلب أسواق المدينة، ص ١٢٣.
- (٢) وضاح سواس: خانات حلب، مجلة عاديات حلب، جمعية العاديات ،حلب، العدد (٣)-٤، ٢٠٠٥، ص ١٤٤.
- (٣) عبدالله حجار: خانات حلب ،مجلة عاديات حلب، جمعية العاديات ،حلب، العدد (٣-٤)، ص ١٨٦.
- (٤) وضاح سواس: المرجع السابق، ص ١٤٣.
- (٥) حريثاني: أسواق المدينة ، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٤٧-٤٩.
- (٦) عبد الله حجار: خانات حلب ،مجلة العاديات، مرجع سابق، ص ١٥٧.
- (٧) خير الدين الاسدي: عبد الفتاح قلعة جي، مرجع سابق، ص ١٨٥.
- (٨) خير الدين الاسدي: مرجع سابق، ص ١٨٥.
- (٩) عبد الله حجار: عاديات حلب ص ١٦١.
- (١٠) الاسدي: ص ١٩٠.

- (١١) نهر الذهب في تاريخ حلب، مرجع سابق، ص ١٣٥
- (١٢) اسعد طلس: مرجع سابق، ص ١٢٣.
- (١٣) عبد الله حجار: عاديات حلب، ص ١٥٩
- (١٤) خير الدين الاسدي: مرجع سابق، ص ٢٣٤
- (١٥) محمود حريثاني : حلب أسواق المدينة ،مرجع سابق، ص ١٢٤-١٣٢.
- (١٦) عبد الله حجار: عاديات ص ١٦١.
- (١٧) جان كلود ديفيد- تييرري غراندان: المدن في الإمبراطورية العثمانية، ج ٢ المركز الوطني للبحث العلمي، باريس، ص ٩.